﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ٢٥ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ٢٦﴾

[ق: 24 - 26]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

بعد إقامةِ الشَّهادةِ يقع الجزاءُ العادل

لمّا ذكرتِ الآيةُ السابقةُ ما يشهد به المَلَكُ القرينُ على الإنسان يوم البعث، ويُقيم الحجَّةَ عليه بما يستحقُّ من الجزاء، أو ما يُشاهدُه القرينُ الكافرُ من هذا الجزاء؛ ناسب بعد ذلك ذكرُ ما الذي يكون للإنسانِ بعد الشَّهادة ممّا لا علمَ لنا به، فذكرتِ الآياتُ ما يُؤمَر به المَلَكانِ الموكَّلانِ به، بعد تأكيد القرين في شهادته استحقاقَ ذلك الإنسانِ ما يُعَدُّ له من العذابِ والعقابِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَلۡقِيَا﴾: (لقي) أصلٌ يَدُلُّ عَلَى طَرْحِ شَيْءٍ، ومنه الإلقاءُ: طرح الشيء حيث تَلْقاه، أي: تراه، ثمَّ صار في التَّعارُف اسمًا لكلِّ طرحٍ، قال تعالى: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ٨٧﴾ [طه: 87]، وقال: ﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠﴾ [الأعراف: 120][1]، ومعناه هنا: اطْرَحاه دفعًا من غير شَفَقَة[2].

2) ﴿كَفَّارٍ﴾: (كفر) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى واحِدٍ، وهوَ السَّترُ والتَّغْطيَةُ، يُقالُ لِمَنْ غَطَّى دِرْعَهُ بِثَوْبٍ: قَدْ كَفَرَ دِرْعَهُ، والكُفْرُ: ضِدُّ الإيمانِ، سُمّيَ لِأَنَّهُ تَغْطيَةُ الحَقِّ، والكافِرُ على الإطلاق متعارَفٌ فيمن يَجحَدُ الوحدانيَّة، أو النُّبوَّة، أو الشَّريعَة أو ثلاثتَها، والكَفورُ: المُبالِغ في كفران النعمة، قال اللّٰه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾ [الزخرف: 15]، والكَفّارُ أبلغ منه، كما في هذه الآية[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، مفردات القرآن: (لقى).
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 426.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، مفردات القرآن: (كفر).

3) ﴿عَنِيدٍ﴾: (عند) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مُجاوَزَةٍ وتَرْكِ طَريقِ الاستِقامَةِ، يُقالُ: عَنَدَ الرَّجُلُ، وهوَ عانِدٌ، يَعْنُدُ عُنودًا؛ إذا عَتا، وطَغَى، وجاوَزَ قَدْرَهُ، ومنه المُعانَدَةُ، وهيَ أنْ يَعْرِفَ الرَّجُلُ الشَّيءَ، ويَأْبَى أنْ يَقْبَلَه، يُقالُ: عَنَدَ فُلانٌ عَنِ الأمرِ؛ إذا حادَ عَنْهُ، والعَنيدُ: المُعْجَب بما عنده - كما في هذه الآية - وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾ [المدثر: 16][1].

4) ﴿مَّنَّاعٍ﴾: (منع) أصْلٌ يدلُّ على خِلافِ الإعْطاءِ، يُقالُ: مَنَعْتُهُ الشَّيْءَ مَنْعًا، وهوَ مانِعٌ ومَنّاعٌ، أي: ضَنين مُمسِك[2]، والمنعُ: أن تحولَ بينَ الرَّجُلِ وبينَ الشَّيءِ الَّذي يُريدُهُ، يقالُ: مَنَعْتُهُ فامتنعَ، ورجلٌ مَنيع: لا يُخلَصُ إليه، ورجلٌ مَنوعٌ ومنّاعٌ؛ إذا كانَ بَخيلًا مُمسِكًا[3]، وامتنعَ منَ الأمر: كفَّ عنه[4]، والمرادُ به في الآيةِ: البخيلُ أوِ الصّادُّ عن سبيل اللّه، فيمنعُ وصولَ الدَّعوة الَّتي هي خيرٌ مَحْضٌ إلى النّاس.

5) ﴿مُعْتَدٍ﴾: (عدو) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَجاوُزٍ في الشَّيْءِ وتَقَدُّم؛ لِما يَنْبَغي أنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ، منه التَّعَدّي: تَجاوُزُ ما يَنْبَغي أنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ، يُقالُ: عَدا فُلانٌ طَوْرَهُ، ومِنهُ العُدْوانُ والعَداءُ والاعْتِداءُ، يُقال: عَدا عَدْوًا، فهو عادٍ، وتَعَدَّى واعْتَدَى فهو مُعْتَدٍ - كما في هذه الآية - قال تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [الأعراف: 163]، وقال: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 194]، وقال: ﴿إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ [المطففين: 12][5].

6) ﴿مُّرِيبٍ﴾: (ريب) أصلٌ يَدُلُّ عَلَى شَكٍّ، يُقال: رابَني كذا، وأرابَني، فالرَّيْبُ: أن تتوهَّم بالشيء أمرًا ما، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾ [هود: 110]، وقال هنا: ﴿مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾[6].

7) ﴿جَعَلَ﴾: (جعل) أصلٌ يدلُّ على تحويل الشَّيءِ إلى وضعٍ أو هيئةٍ معَيَّنَة، وهو لفظٌ عامٌّ في الأفعال كلِّها، أعمُّ من (فعل) و(صنع) وسائرِ أخواتها، ومن معانيه: الحكم

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، مفردات القرآن: (عند).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، مفردات القرآن: (منع).
(3) الخليل، العين: (منع).
(4) الفيوميّ، المصباح المنير: (منع).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (عدو).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، مفردات القرآن: (ريب).

بالشيء على الشيء، حقًّا كان أو باطلًا، فأمّا الحقُّ؛ فنحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص: 7]، وأمّا الباطل؛ فنحو قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: 136]، وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ [النحل: 57]، وهذه الآية.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

جزاء الكافرِ العنيدِ هو العذابُ الشَّديدُ

تُبيِّن الآياتُ الكريمةُ أنَّه بعد قولِ القَرينِ: ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾، يُقالُ للمَلَكين الموكَّلَينِ بالإنسان، السّائقِ والشهيد، أو لخازنِ النّار بلفظ التَّثنية: اقْذِفا في جهنَّم باحتقارٍ وغضب كلَّ مبالغٍ في الجُحود والكفر، معانِدٍ للحقِّ مع عِلمِه بأنَّه حقٌّ، مبالغ في المنع لكلِّ ما هو خير، كثيرِ الاعتداء، كثيرِ الشَّكِّ فيما هو حقٌّ وبرٌّ، يجعل مع الله إلهًا آخرَ في العبادة والطاعة، فألقياه أيُّها المَلَكانِ في العذاب الذي يُذِلُّه، ويُهينُه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّةُ فَصلِ الجُملَة:

الانتقال من خطاب الإنسان إلى خطاب المَلَكين الموَكَّلين به

جملة: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ مستأنَفةٌ استئنافًا ابتدائيًّا؛ للانتقال من خطاب الإنسان الكافر أو الغافل إلى خطاب المَلَكين الموَكَّلين به، فإنَّه لمّا كانتِ العادةُ جاريةً بأنَّ مَن أُحْضِر إليه شيءٌ؛ بادَرَ إلى أمره بقولٍ أو فعلٍ، وصَلَ بذلك ما هو نتيجتُه[2].

نكتةُ حذفِ القول:

جملةُ: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ مقولُ قولٍ محذوفٍ، تقديرُه: (يُقالُ للملَكَينِ: ألقيا في جهنَّم)، ونكتة الحذفِ: تصويرُ مَشهَد المباغتة في إصدار الأمر الإلهيِّ بإلقاء المنكِر للبعثِ في جهنَّم.

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 346.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 426.

بلاغة استعمال مادَّةِ الإلقاء:

إهـانـةُ مُـنـكِـرِ البعث وإذلالُه

آثر النَّظمُ الكريم استعمالَ مادَّة الإلقاء بصيغة فِعلِ الأمر في قول الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه طَرحٌ ودفعٌ في جهنَّمَ ليس فيه هوادَةٌ ولا إكرامٌ، وإنَّما هو إلقاءٌ مشفوعٌ بالقوَّة والإهانة والإذلال، فالمعنى: (اطْرَحا، واقْذِفا دفعًا من غيرِ شفقة)[1].

توجيه تثنية المخاطَب:

تـقـويـةُ أمـرِ الإلقاء والمبالغةُ في شِدَّتِه

أُسند فعلُ الإلقاء إلى ألف الاثنين في قول الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾؛ لأنَّ الخطابَ للملَكَين: السّائقِ والشهيد، هذا ما يقتضيه الظّاهر، ويجوز أن يكون الإسنادُ إليه جريًا على طريقة العرب التي اعتادوا فيها خطابَ الرفيق والصديق، كما يكثُر في كلامِ الشعراء: يا صاحِبَيَّ، ويا خليلَيَّ، والغرَضُ من خطاب الواحد بلفظ الاثنين: إفهامُه أنْ يأتيَ منه الفعلُ بجِدٍّ عظيم، بحيث تكون قوَّتُه فيه معادِلةً لقوَّة اثنين، ويجوز أن تكون تثنيةُ الفاعل نُزِّلت منزلةَ تثنيةِ الفعل لاتِّحادهما، كأنَّه قيل: (ألقِ ألقِ) للتَّأكيد[2].

دلالةُ استعمال حرفِ الظَّرفيَّة:

الإلقاء مُتَّصِفٌ بالقوَّة الموصِلةِ إلى جوفِ جَهَنَّم

التعبيرُ بحرف الظرفيَّة في قول الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ تأكيدٌ لضرورة الشِّدَّة في الإلقاء، وتوجيهٌ إلى أهمّيَّة خُلوِّه من أيِّ نوعٍ من أنواع الشفقة، بأن يكون الإلقاء موصِلًا إلى جَوف جهنَّم، وهذا لا يكون إلّا إذا كان قويًّا بدون مبالاةٍ بالمُلقَى، بحيث تُحيط النّار بالكافر الغافل إحاطةَ الظَّرفِ بالمظروف، وفيه من التَّخويف والتَّحذير ما تَخلَعُ له القلوبُ، وما يدفع إلى التوبة من إنكار البعث، والتَّراجُعِ عن الكفرِ به.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 426.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 387، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 426، 427، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 311.

غرض تقديم الجارِّ والمجرور:

تقديمُ المكانِ يَقتَضي شديدَ الوعيد

جيء بالجارِّ والمجرور مُقَدَّمًا على المفعول به، في قول الله تعالى: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾؛ لتعجيل ما يُزعِجُ الكفّارَ، ويَسوؤُهم، ويُهَدِّدُهم؛ بسبب إصرارهم على الكفر بالبعث ومعانَدَتِهم الرَّسولَ المُنْذِرَ به، عَلَّهم يتراجعون عن كفرهم وعِنادِهم، ويؤمنون، مع ما في التَّقديم من التَّهويل والتفظيع؛ لِما سيُلقَون فيه، فإنَّ ذِكرَ مكانِ الوعيد والعذاب أشدُّ ألمًا في نفسيَّة المخاطَب من ذكرِه؛ لأنَّ تقديمَ المفعول يقتضي التشويقَ للمكان، وتقديمَ المكان يقتضي بيانَ أهمّيَّته، وما يحويه من شديد الوعيد، وهو ما يُحقِّقُ مقصودَ السّياق.

دلالةُ إضافةِ ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾:

تعميمُ الجزاءِ على الكفّار، بلا استثناءٍ مُطمِع، ولا رجاءٍ مُشفِع

عبَّر البيانُ القرآنيُّ عن المفعول في قول الله تعالى: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بلفظ الكُلِّ؛ ليشملَ الأمرُ بالإلقاء في النار كلَّ مَنْ يستحقُّ العذابَ بها من غير استثناءٍ لأحدٍ أو شفقةٍ عليه، وأُضيف إلى ﴿كَفَّارٍ﴾ للتَّخصيص، وللتعليل المؤكِّد ضرورةَ أن يكونَ الإلقاء على الوجه المأمور به من الشدَّةِ والإهانة؛ لكَون المُلْقَى كان مُصِرًّا على الكفر مبالِغًا في العناد.

دلالة التعبير بصيغة المبالغة:

شـدَّةُ الكفر والمبالغة في العناد والبُخل سببُ الإلقاء في جهنَّم

جاء في قول الله تعالى: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤ مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ﴾ كلٌّ من ﴿كَفَّارٍ﴾ و﴿عَنِيدٍ﴾ و﴿مَّنَّاعٍ﴾ - وهما صفتانِ لـ﴿كَفَّارٍ﴾ - بصيغة المبالغة، مع التَّنكير المفيدِ للتَّعظيم؛ للدَّلالة على شدَّة إصرار ذلك الإنسان الذي أُمِر الملكان بإلقائه في جهنَّم على الكفر بالله تعالى وكفرانِ نِعَمِه، ووصولِه في ذلك حَدًّا لا نظيرَ له، وعلى مبالغته في العناد وعدمِ الإيمان بالبعث والرِّسالة مع يقينه أنَّه حقٌّ، وأنَّ الرسولَ صادقٌ، ولم يفترِ الكذبَ في شيءٍ منه، وعلى مبالغتِه في التصدّي وشِدَّة حرصِه على منعِ أيِّ عملٍ من أعمالِ

الخير، بِشَتَّى الطرائقِ، ومختلفِ الوسائل، والمعنى: (ألقيا في جهنَّمَ كلَّ مبالغٍ في ستر الحقِّ، والمعاداةِ لأهلِه من غير حجَّة، بل حَميَّةً وأَنَفةً؛ نظرًا إلى استحسانِ ما عنده، والثَّباتِ عليه تجبُّرًا وتكبُّرًا على ما عند غيره، وازدراءً له، كائنًا مَنْ كان، كثير المنع من المال وغيره، من كلِّ معروفٍ يتعلَّق بالمال والقال والفعال)[1].

معنى تعريفِ (الخير):

الكافرُ يمنعُ الخيرَ بكلِّ أنواعِه

(أل) في قول الله تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ قد تكون لتعريف العهد، والمرادُ به: (الإيمان)؛ إذ كانوا يمنعون أبناءَهم وذَويهم من الإسلام، ويحتمل أن يرادَ به: (المال)؛ لأنَّهم كانوا يُطلِقون الخيرَ عليه، وكان أهل الجاهلية يمنعونه الفقراء، ويُعطونه لأكابرهم تقرُّبًا وتلطُّفًا[2]، ويمكن أن تكون اللام لتعريف الجنس، فيدخل فيه الإيمانُ والمالُ وغيرُهما من أنواع الخير، وهو الأعمُّ والأحسنُ[3] والأكثرُ توافقًا مع واقع الكفّار وأفعالهم.

فائدةُ الوصفِ بـ﴿مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾:

الكَفّارُ يَبلُغُ في الاعتداءِ والارتيابِ مَبلَغًا لا تحيطُ به العبارةُ

قولُ الله تعالى: ﴿مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ صفةٌ ثالثة ورابعةٌ لـ ﴿كَفَّارٍ﴾، أوثِر تنكيرُهما؛ لما يفيده التنكيرُ من التعظيم الدّالِّ على بلوغه في الظلم والاعتداء على المسلمين بالأذى، وعلى الرسول ﷺ بالتكذيب والقول الباطل مَبلَغًا لا يُقادَرُ قدرُه، ولا تُحيط العبارةُ بوصفه، مع ما في الارتياب من الشَّكِّ والتشكيك، وبلوغه في ذلك مبلغًا لا نظيرَ له، من خلال ما يُلقيه إلى الناس من صنوف المغالطة، ليُشَكِّكَهم في صدق الرسول ﷺ وصِحَّةِ الإيمان والتوحيد[4]، فالمعنى: (داخِلٌ في الرَّيب والتُّهمَة في أمر الدين، موقِعٌ غيرَه فيه)[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 427.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 131، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 312.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 537.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 312.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 427.

نكتةُ ترتيبِ الأوصاف:

الكفرُ رأسُ الشَّرِّ

جاء ترتيبُ صفاتِ من يستحِقُّ الإلقاء في جهنَّم، في قول الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾، بتصدير الكفرِ المضادِّ للإيمان لأهمّيَّته ولكونه الأساس، وبالتثنية بالعناد؛ لبيان أنَّه بالِغ في الكفر والكفران، متعمِّدٌ عدمَ التجاوب مع ما يُخرجه منه إلى دائرة الإيمان والإسلام، ثمَّ أُتبع بصفةِ منع الخير؛ للدَّلالة على أنَّه لم يتوقَّف على الكفر والعناد، بل عمل على منعِ الخير مِن أن يدخُلَ في قلوب العباد، فهدَّدهم من فعل ذلك أو التأثُّر به، فهذا المُلْقَى في جهنَّم كفَرَ باللّه، ولم يقتنع بكفره حتّى منع الخيرَ من الآخر، ثمَّ لم يقتنع بالكفر والمنع من الإيمان والزَّكاةِ وسائرِ أنواع الخير، بل تعدّى ذلك، وتجاوزَه، فاعتدى على أهل الإيمان، وأخذ المالَ الحرام بالأذى والسَّرقة، وكان سبب ذلك كلِّه – من الكُفر والعنادِ والمنعِ والاعتداء – أنَّه في رَيبٍ وشكٍّ من البعث والجزاء[1].

وجملةُ الأمر، أنَّه بدأ بالكفرِ باعتبارِه أصلَ الضلالة، ثمَّ العنادِ باعتبارِ أثره الذّاتي، ثمَّ منعِ الخير باعتبار أثرِه المتعدّي، ثمَّ الاعتداءِ على الآخرين، ثمَّ الارتياب في كلِّ خير.

بيان حال الكَفّارِ معَ الله ورسولِه واليومِ الآخِر

وهناك وجهٌ آخرُ لترتيب هذه الصِّفات، وهو أن يُقال: هذا بيانٌ لأحوالِ الإنسانِ الكَفّار بالنسبة إلى اللّه، وإلى رسول اللّه، وإلى اليوم الآخر، فقولُه: ﴿كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ إشارةٌ إلى حاله مع اللّه، يكفر به، ويعاند آياتِه، وقولُه: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ﴾ إشارةٌ إلى حاله مع رسول اللّه، فيمنع الناسَ من اتِّباعه، ومن الإنفاق على من عنده، ويتعدّى بالإيذاء وكثرة الهُذاء، وقولُه: ﴿مُّرِيبٍ﴾ إشارةٌ إلى حاله بالنسبة إلى اليوم الآخر، يريب فيه، ويرتاب، ولا يظنُّ أنَّ الساعةَ قائمة[2].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 136، 137.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 137.

الموقعُ الإعرابيُّ للاسمِ الموصول ودلالتُه:

تعليلُ إلقائه في قعرِ جهنَّم، وتأكيدُ استحقاقِه أشدَّ العذاب

الاسم الموصول في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ يجوز أن يكون منصوبًا على أنَّه بدلٌ من ﴿كُلَّ﴾، وأن يكونَ مجرورًا على أنَّه بدلٌ من ﴿كَفَّارٍ﴾، كما يجوز أن يكونَ مبتدأً مُضَمَّنًا معنى الشرط، وخبرُه ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾، بتأويل: (فيُقال في حقِّه: ألقياه)، أو لكونه في معنى جواب الشرط، لا يحتاج للتَّأويل[1].

وأيًّا كان الموقعُ الإعرابيُّ للاسم الموصول؛ فالقصد من التعبير به وبصلته هو بيان العلَّة التي لأجلها اتَّصف المنكِرُ بالكفر والعناد والاعتداء والارتياب، وهي الشِّرك بالله تعالى، فالشرك هو ركنُ إبليس، وأصلُ كلِّ ظلم، ومنبعُ كلِّ شرٍّ، ففي التَّعبيرِ به تأكيدُ استحقاقِ كلِّ مَن اتصفَ بالصفاتِ السابقِ ذكرُها الإلقاءَ في قَعْر جهنَّم، على وجهٍ بالغٍ في الشِّدَّة والإهانة، بذكر السَّبَبِ الرئيسِ في ذلك.

دلالة استعمال مادَّةِ الجَعْل:

الإيماءُ إلى معاندةِ الفطرةِ ومكابَرةِ الحقِّ

جاء التَّعبير في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، بفعل الجَعْلِ الدّالِّ على التصيير والتحويل؛ للدَّلالة على أنَّ هذا الكَفّارَ أشرك بالله مخالِفًا الفطرة التي فُطِرَ عليها، ومختَلِقًا ذلك من عند نفسه، ومُصِرًّا عليه بوازعٍ داخليٍّ، فالمعنى: (فَعلَ ذلك كُفرًا مُضاعَفًا، وعِنادًا ومنعًا للخير الذي فُطِر عليه في قلبه ولسانه وبدنه، وتجاوُزًا للحدود، ودخولًا في الشَّكِّ، وإدخالًا لغيره فيه)[2].

فائدةُ التَّعبير بصيغة الماضي:

جيء بفعل الجعْل في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ ماضيًا؛ للدلالة على حصول الشِّرك منه حصولًا أكيدًا لا ريبَ فيه، فبه استحقَّ الإلقاءَ في جوفِ جهنَّم؛ ليَأْخُذَ جزاءَه الأوفى.

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 537، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 336.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 427.

غرض تقديم الظَّرف:

قُدِّم الظَّرفُ على المفعولِ في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾؛ للتشنيع على شِرك الكافر، وتقبيحِ صنيعه، وتأكيدِ استحقاقه الإلقاءَ في عُمق النّار، فالإشراك باللّه موضعُ التَّقريع والتَّوبيخ واستحقاق العذاب لِعِظَم مَن تعلَّق به الاعتداء.

نكتةُ تنكيرِ المفعول:

نُكِّر المفعول في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ للإبهام والعموم، فموضِعُ الإنكار على شِركِهم لم يكن باعتبارِ أنَّ المشركين اتَّخذوا إلهًا بعينِه، أو مجموعةَ آلهة، بل في كونهم أشركوا مع الله تعالى سِواه، فمَدارُ الإنكار في جَعلِ إلهٍ مع الله تعالى، بقطع النَّظَر عن صفاته وماهيَّته، ويُفيد التنكير أيضًا التحقيرَ، الدالَّ على سُخْفِ عقول المشركين، وسوءِ أدبهم مع الله جلَّ في علاه؛ إذ ساوَوا باللّه الذي يَنطِق الكونُ بعَظَمَته، ويُقِرُّ الجميعُ بقدرته، إلهًا مجهولًا لا يعرفُه أحدٌ، ولا يستطيعُ أن يجلب لنفسه أو لهم نفعًا، ولا أن يدفع عنها ولا عنهم ضُرًّا.

مـــدارُ الإنـكـارِ عـلى المشركين في اتِّخاذِ أيِّ إلهٍ سِوى الله تعالى

دلالة التَّقييد بالصِّفة:

جاء وصفُ المفعول من جملة الصِّلة: ﴿جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ بـ ﴿ءَاخَرَ﴾؛ تأكيدًا لدلالة العموم والإبهام، وزيادةً في تحقير الإلهِ الذي اتَّخذه الكَفّارُ من دون الله؛ لاشتقاق صفته من التأخُّر، الناظرِ إلى الرداءةِ والسقوطِ عن عين الاعتبار بالكُلّيَّة[1].

معنى الفاءِ ودلالتها:

الفاء في قول الله تعالى: ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ هي فاء التفريع أو التسبُّب، الدالَّةِ على أنَّ أمرَ الملَكَين بإلقاء الكَفّار في النّار مُسَبَّبٌ عن جعله مع الله تعالى إلهًا لا يستحِقُّ شيئًا من خصائص

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 428.

الله تعالى، ولا يقترب منه في وصفٍ من الأوصاف؛ إذ "لمّا كان هذا الكَفّارُ قد جحد الحقَّ الواجبَ لله لذاته مع قطع النظر عن كلِّ شيء، ثمَّ جحد ما يجب له من جهة ربوبيَّتِه وإنعامه على كلِّ موجود، ثمَّ جحد ما يجب من جهة إدامة إحسانه مع المعصية بالحِلم، وعاند في ذلك، وفي إثباته للآخر ما لا يصحُّ له بوجهٍ من الوجوه؛ سبَّب عن وصفه ذلك قولَه: ﴿فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾"[1].

إلقاءُ المشركين في النار مُسَبَّبٌ عن جعلهم مع الله تعالى إلهًا آخر

نكتة تَكرار الأمرِ بالإلقاء:

أُعيد أمرُ الملَكَينِ بفعل الإلقاء متعدّيًا إلى ضمير الكَفّار، في قول الله تعالى: ﴿فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾؛ لتأكيد الإلقاء السّابقِ ذكرُه في قوله تعالى: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾، ولتقوية كونِه على وجهٍ بالغٍ في القوَّة والشدَّة والإهانة والمذلَّة، التي يستحقُّها كلُّ مَنْ جَعَلَ مع الله تعالى إلهًا آخرَ كائنًا مَنْ كان، وليَحصُلَ بذلك للكافرين نوعانِ من العذاب: أحدُهما: نفسيٌّ بالإهانة والإذلال، والآخرُ حسّيٌّ بعذاب النار، فيبلغ عقابُهم قمَّتَه وذروتَه.

تأكيدُ العذابِ الماديِّ عذابٌ آخرُ نفسيٌّ

نكتة استعمال حرف الظَّرفيَّة:

جاء التعبير بحرف الظرفيَّة في قول الله تعالى: ﴿فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾؛ لتأكيد ضرورة كَونِ الإلقاء في قلب جهنَّم، حتّى يُحيطَ العذابُ بالكُفّار الغافلين إحاطةَ الوعاءِ بما فيه؛ تخويفًا من الكفر، وتحذيرًا من العناد.

دلالة تعريف ﴿ٱلۡعَذَابِ﴾:

(أل) في ﴿ٱلۡعَذَابِ﴾ من قول الله تعالى: ﴿فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ لتعريف العهد، والمقصودُ به: عذابُ جهنَّم الذي سبق ذكرُه في السورة في قوله تعالى: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾، والذي ذَكَرَه القرآنُ في مواطنَ عديدة، سُمّيت فيها النارُ بأسماء كثيرةٍ،

ترهيب الكفّارِ المُفضي إلى انصرافهم عن موجباتِ العذاب

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 428.

تدلُّ على أنَّ نارَ الدنيا لا تساوي بجانبها شيئًا؛ ليكونَ للترهيب بها والتخويف من عذابها أثرُه في صَرفِ النّاس عن موجباته، التي يأتي على رأسِها الكفرُ باللّه تعالى، وجعلُ آلهةٍ أخرى معه.

فائدةُ الوصف بـ ﴿ٱلشَّدِيدِ﴾:

وُصِفَ العَذابُ بالشَّديدِ في قول اللّه تعالى: ﴿فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾؛ لبيانِ تماسُكِ العذابِ، وأنَّه قطعةٌ واحدةٌ في التَّعذيب المُخيف، الذي لا يُرجَى فيه طلبُ الرّاحة أو التَّوقُّفِ عن التَّعذيب، بل هو مستمرٌّ كقطعةٍ واحدةٍ لا أجزاءَ لها ولا تقسيمَ لزمانها، فهو وصفٌ من أوصاف عذاب جهنَّم، يُترجِم أهوالَه يوم الدّين، وشدَّته واقعةٌ على الأبدان والنفوس، فأمر الملكين بإلقائه فيه دليلٌ على استحقاق الكَفّار أشدَّ أنواعِ العذاب؛ لفداحة جُرمِه وشناعة فعله، وفيه مبالغةٌ في تحذير الكافرين، وإبلاغٌ في حثِّهم على التراجُع والإيمان.

العذاب في جهنَّم قطعةٌ واحدة، لا تقبل التَّقسيمَ أو التَّجْزيء

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"